١. عوامل قيام الحضارة عند ابن خلدون:

أ. الاجتماع الإنساني أو العمران البشري:

العمران البشري عند ابن خلدون هو الاجتماع الإنساني أو التجمع (تجمع الناس للسكن في مكان ما) وهذا التجمع يولد القرى ثم المدن، ويرى ابن خلدون أن الإنسان لا يستطيع العيش بمفرده حيث يقول:

"الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء أي الفلاسفة عن هذا بقولهم، الإنسان مدني بالطبع، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران"(٦).

إن أفضل مناطق الاجتماع الإنساني هي ضفاف الأنهر والمناطق السهلية، للقرب من المياه وسهولة التنقل، وبعد أن يحصل التجمع تتولد الخدمات المختلفة، والزراعة هي عامل الاستقرار لدى الإنسان وارتباطه بالأرض لتوفير مقومات حياته، ثم تتولد الخدمات الأخرى كالصناعة والتجارة والعمران، ولا يمكن أن تكون حضارة أو مدنية دون التجمع الإنساني(٧). أما أسباب التجمع، فهي لإشباع حاجة الإنسان من الغذاء، ولتوفير الملبس والمسكن له ولأسرته، ويتم ذلك عن طريق التعاون وتقسيم العمل

بين أفراد المجتمع، لأن قدرة الإنسان المفرد قاصرة عن تحصيل حاجاته الغذائية والاجتماعية، فضلا عن التغلب على مصاعب البيئة الطبيعية، وحاجة الإنسان للدفاع عن نفسه ضد الأخطار الخارجية، ودفع أذى الحيوانات المفترسة(٨).

ب. السلطة (الوازع):

عندما يصل المجتمع إلى درجة التطور في الخدمات، ويصبح تقسيم العمل ضروريا بين أفراد جنسه، تظهر الحاجة إلى السلطة (الحاكم) أو الوازع، كما سماها ابن خلدون لتنظيم حياة المجتمع، ومنع بعضهم من العدوان على البعض الأخر، وسلب حقوقه، حيث يقول:

"أن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض، كما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم، فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان، وهذا هو معنى الملك"(٩).

أن المجتمع لا يستقيم إلا بحاكم قوي عدل، يكون رأس الهرم في الدولة بيده مقاليد الحكم، وهو مسؤول عن رعيته (شعبه)،

يقودهم في السراء والضراء، وهو بمثابة الأب في العائلة، وهذا ما قصده ابن خلدون في (الوازع).

ك. العصبية:

العصبية أو (العُصبة)، وأصل الكلمة من عصب وتعني الشد والربط[10]، وتطلق على الروابط القوية بين أبناء القبيلة، والتحفز لمناصرة ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم سوء أو يصيبهم مكروه، والأصل من العصبية القرابة في النسب، وهو ما يزيد القوة والالتحام بين أبناء القبيلة الواحدة[11]، وقد أوضح ابن خلدون أن العصبية لا تظهر بشكل واضح وقوي إلا بين القبائل البدوية، لأنها تقوم على النسب، والنسب عند البدو بعيد عن الاختلاط والفساد وبسبب ما تتسم به حياتهم من قسوة وبعيدة عن الأقوام الأخرى[12]، وتكون العصبية أيضا الالتزام مجموعة المبادئ والقيم والعادات والتقاليد الخاصة بقبيلة معينة فضلا عن رابطة الدم واللغة والدين، يرى ابن خلدون:

"أن أهل العصبية هم عون لصاحب الدولة أثناء قيامها، وهم مناوئون له أثناء تغلب الترف على طبائع أهلها، والعصبية تنتج جاهاً وسلطاناً وشرفاً، وإذا قويت العصبية ظفرت بالرئاسة، لأن صاحب العصبية يستطيع

بلوغ هدفهُ في الملك إذا كافأت عصبيتهُ بقوتها الدولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من أولياء الدولة"(١٣).

وهكذا نشأت الدولة عند ابن خلدون، ويكون ارتباطها بشكل أساسي بالأسر البدوية القوية، عندما تكون الظروف ملائمة، وقوة تلك الأسرة تمكنها من قهر الأسر التي تحكم الدولة، بسبب تسلل عوامل الترف إليها وتوقف الزخم الحضاري والطاقة الإبداعية فيها.

٣. مراحل الانتقال الحضاري:

تمر الحضارة في خلال مسيرتها التاريخية التي تشبه حياة الكائن الحي(١٤) بثلاث مراحل هي (البداوة، التحضر، التدهور)، وهذه المراحل تناظر مراحل نمو الكائن الحي (طفولة، شباب، شيخوخة)، والانتقال من مرحلة إلى أخرى يخضع لجملة عوامل، فالانتقال من البداوة إلى الحضارة، أما أن يكون بهجر البادية إلى مكان قد سبقت إليهِ الحضارة، أو أن ينقلب جانب من تلك البادية حضراً يجلب عوائد الترف إليهِ، ويحدث ذلك عندما تنقلب الرئاسة بالعصبية ملكاً(١٥)، حينها تنتقل الحضارة إلى المرحلة الثانية، هي مرحلة الارتقاء، واتساع أحوال الدولة في مرافقها المختلفة، ومن أهم العوامل في انتقال الحضارة وتقدمها من مرحلة إلى أخرى،

الأرض بوصفها مصدرا للإنتاج، حيث أن الأرض الجيدة
إنتاجها وفيرا، ويترتب على ذلك الكثير من الخدمات:
ون فيها يحصلون على المال، ويعمل العمال فيها بالأجر.
إنتاج يخضع لعملية التبادل والاستهلاك. وكل ذلك يصب في
رة تقدم الحضارة إلى مرحلة لاحقة، أما العامل الثاني فهو
ر الحكومة، حيث يتطلب وجود حكومة قوية لحماية السكان من
أخطار الخارجية، والمحافظة على الإنجاز الحضاري، أما العامل
آخر، فإن زيادة السكان ضرورة لزيادة الإنتاج في وقت لم تكن
هناك معامل أو مصانع أو آلات، وان الزيادة في الأيدي العاملة
تؤدي إلى زيادة الإنتاج، وهذا يؤدي إلى إدامة الحضارة.

اما المرحلة الأخيرة من مراحل الانتقال الحضاري فهي مرحلة
(الدهور = الشيخوخة) عندما تفقد الدولة طاقتها الإبداعية يتسلل
الترف إلى مرافقها الحيوية، ويؤدي ذلك الى انطفاء شعلة الإبداع
فيها والعجز والتقاعس والأفول ثم السقوط، لأن ذلك أمر حتمي؛
فالحضارة بعد أن تستكمل دورة حياتها لا بد أن تسقط، وربما
يتأخر سقوطها إذا لم تتوافر عوامل خارجية أو داخلية، ولكن هي
في حكم الميتة أو المنحلة وآيلة للسقوط.

أن عوامل قيام الحضارة هي نفسها عوامل تدهورها وسقوطها
(العصبية والترف)، فالعصبية أساس قوة القبيلة، ولا تكون الرئاسة